تحليل الخطاب

بين المعرفي والإيديولوجي

محمّد الصّالح البوعمراني

جامعة قفصة /تونس

يثير تحليل الخطاب العديد من الإشكاليّات تتعلّق بأصول نشأته، وبموضوعه، وبحقيقة اعتباره منهجا أو اختصاصا، وبعلاقته بالعلوم القريبة منه وتقاطعه مع تخصّصاتها، وبطبيعة علاقة المعرفيّ فيه بالإيديولوجي، وبتطوّراته اللاحقة، واستفادته من نظريّات لسانيّة مختلفة، وليس هدفنا في هذا السّياق إثارة هذه الإشكاليّة ففي ما ذكرهُ غيرنا ما يغني عن ذكرها، ولكنّنا نتطرّق إلى بعضها في إطار تناولنا لعلاقة الإيديولوجي بالمعرفي في مبحث تحليل الخطاب. هذا المبحث الذي ارتبط بمسارين أساسين المسار الفرنسي أو المدرسة الفرنسيّة في تحليل الخطاب والمسار الأنجلوسكسوني أو تحليل الخطاب النّقدي.

1- من الخطاب موضوعا إلى تحليل الخطاب

إنّ ظهور تخصّص يجعل من الخطاب موضوعا، في الفضاء الفرنسي تحديدا، هو بصورة عامّة، حقيقة يجب قراءتها في إطار تطوّر علوم اللّغة، وتحديدا منذ نهاية السّتينيات.(1) وتحت تأثير عدد من الكتابات المختلفة منها ***grammatologie*** دريدا وأركيولوجيا ميشال فوكو و ***sémanalyse*** كريستيفا، ونظريّة لذّة النّصّ لبارث، ونظريّة المجموعات المقدّمة من طرف مجموعة التفت حول فيليب سولار في تال كال، وتحت تأثير الفلسفة واللّسانيات

المنارة للاستشارات

والتّصوّرات النّقديّة المستلهمة من الماركسيّة ومن التّحليل النّفسي (الذي يعود إلى لاكان خاصّة).(2) ورغم ذلك فإنّ أهم ما يميّز تحليل الخطاب عن الممارسات السّابقة لتحليل النّصّ، حسب مراندان ***J.Marandin***، هو اعتماده على اللّسانيات.(3)

إنّ تحليل الخطاب في منابته الفرنسيّة، أو في ما يطلق عليه المدرسة الفرنسيّة في تحليل الخطاب، التي يمثّل روّاد مثل ألتوسير وفوكو خلفيّتها النّظريّة، انصبّ اهتمامه على علاقة اللّغويّ بالإيديولوجيّ في إعادة قراءة للفكر الماركسي مع ألتوسير وإن كان في سياق ابستمولوجي فرنسي يعود إلى باشلار ***Bachelard*** وكونقويلهام ***Canguilhem***، وفي محاولة بيان أن الإيديولوجي لا ينفصل عن إنتاجاتنا المعرفيّة المختلفة، وعن خطاباتنا، فالإيديولوجيا كامنة في لاوعينا، وتعكسها خطاباتنا المختلفة التي نستعمل. وقد دافع ألتوسير عن أطروحتين أولاهما أنّ الإيديولوجيا هي تمثيل للعلاقة المتخيّلة للأفراد بالشّروط الواقعيّة لوجودهم، فعلاقات النّاس بشروط وجودهم هي التي تمثّلهم، وهي مركز كلّ تمثيل إيديولوجيّ، وبذلك مركز كلّ تمثيل متخيّل للعالم الواقعي.(4) وثانيهما أنّ الإيديولوجيا هي وجود ماديّ، فالجانب العملي هو الذي يحدّد هويّة الأفراد ونمط حياتهم.(5) فالإيديولوجيا كما يقول ألتويسير هي التي تجعل من الأفراد ذواتا.(6) وتظهر اللّغة باعتبارها منتوجا يظهر أثر الذّاتيّة في الخطاب، لكنّ الذات ليست "حرّة في إنتاج المعنى بمجرّد أن تؤلّف بين وحدات من اللّغة تحمل دلالة ثابتة كما يذهب الاعتقاد السّائد إلى ذلك. بل هي تذعن أثناء ذلك الفعل للتشكّل الخطابيّ ***(La formation discursive)*** الذي ينخرط فيه خطابها"(7) كما يعتقد بيشو تلميذ ألتوسير.. والتّشكيلة الخطابيّة مفهوم يعود إلى ميشال فوكو، وأعاد إنتاجه بيشو الذي يذهب "إلى أنّ كلّ "تشكيلة اجتماعيّة" يمكن وصفها على أساس

علاقة معيّنة بين الطّبقات الاجتماعيّة تتضمّن وجود "مواقف سياسيّة وإيديولوجيّة ليست من شأن الأفراد، وإنّما تنتظم حسب تشكيلات تقوم بينها علاقات تنافر أو تحالف أو سيطرة" وتتضمّن هذه التّشكيلات الإيديولوجيّة "تشكيلة أو تشكيلات خطابيّة مرتبطة بعضها ببعض تحدّد ما يمكن وينبغي قوله".(8) فلا إيديولوجيا إذن دون لغة.

لذلك عرّف مانقينو تحليل الخطاب باعتباره دراسة للغة حيث تكون الذّوات مندرجة في استراتيجيات تفاعليّة وفي وضعيّات اجتماعيّة، وارتباطات تاريخيّة.(9)

2- من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي

أمّا التّوجه الأنجلوسكسوني في تحليل الخطاب، والذي وسم بتحليل الخطاب النّقدي، واعتبر أحد فروع تحليل الخطاب عامّة، فقد اهتمّ بدرجة أولى بدراسة الطّريقة التي بها تنتج القوى الاجتماعيّة الغالبة والمهيمنة واللا متساوية الخطاب، وتقاوم عن طريق النّصوص والمحادثات التي تنتجها في سياقات اجتماعيّة وسياسيّة مختلفة، ليكشف محلّل الخطاب عن المواقع التي يتمّ من خلالها مقاومة عدم المساواة الاجتماعيّة. وقد قام هذا المبحث أساسا على الإرث الذي تركته مدرسة فرنكفورت بعد الحرب العالميّة الثّانية، واهتمّ هذا التيار بدراسة اللّغة والخطاب. وهو كذلك نتاج للتطوّرات الحاصلة في اللّسانيات الاجتماعيّة وعلم النّفس والعلوم الاجتماعيّة، في أوائل السّبعينات، وردّ فعل على النّماذج البنيويّة السّائدة.

المنارة للاستشارات

ويهدف بشكل أساسي، إلى الكشف عن الخصائص الإيديولوجيّة والإقناعيّة في النّص والكلام، التي قد لا تكون ظاهرة بشكل مباشر، دون مساعدة من أرضيّة وصفيّة منهجيّة، مثل تلك التي يوفّرها النّحو أو *typology*.(**10**)

إنّ تحليل الخطاب النّقدي ليس طريقة معيّنة في تحليل الخطاب، بل هو توجّه ***discipline*** أو تمشّ ***practice***، يتعلّق بعدّة مدارس أو مقاربات لكلّ منها منهجيته الخاصّة به. وفي كثير من الحالات تتأسّس هذه المنهجيات على أرضيّة لسانيّة، ممّا يجعلنا نعتبر تحليل الخطاب النّقدي فرعا من اللّسانيّات التّطبيقيّة. مع أنّ مقاربات أخرى أقلّ أهميّة تعتبر بمثابة المرجعيّات لتحليل الخطاب النّقدي مثل الإثنوغرافية وعلم النّفس الاجتماعي. وفي الإطار التّصوري الأوسع فإنّ تحليل الخطاب النّقدي يعود إلى النّظريّة الاجتماعيّة النّقديّة، وإلى مفكّرين مثل باختين وبورديو وهبرماس وفوكو.(**11**)

فالتّحليل النّقدي للخطاب ليس بدرجة كبيرة مدرسة أو تخصّصا ينضاف إلى المقاربات الأخرى في دراسة الخطاب، إنّما هو يحاول أن يقدّم نموذجا أو رؤية نظريّة مختلفة اختلافا كليا في التّنظير والتّحليل والتّطبيق. وإن تقاطع مع مجالات أخرى مثل البراغماتيّة وتحليل المحادثة وتحليل السرد والبلاغة والأسلوبيّة والإثنوغرافيا وتحليل وسائل الإعلام وغيرها.(**12**)

لذلك يبدو أنّ التّحليل النّقدي للخطاب ليس اتجاها واحدا، ولا يمتلك إطار نظريا موحدا، فتحليل المحادثة غير تحليل التّقارير الإخباريّة في الصّحافة ومختلف عن تحليل الدّروس في المدرسة، لكن رغم هذا التّنوّع والاختلاف وبالنّظر إلى المنظور التّصوّري العام لتحليل النّقدي للخطاب يمكن إيجاد تصوّرت نظريّة تربط هذه التّيّارات المختلفة في تحليل الخطاب. فكلّ أنواع تحليل الخطاب النّقدي تقوم على طرح سؤال أساسيّ يتمثّل في الطريقة التي تستعمل فيه البنى المخصوصة في الخطاب

المنارة للاستشارات

في إعادة إنتاج الهيمنة الاجتماعيّة، سواء كان هذا الخطاب جزء من محادثة أو تقريرا صحفيا أو أي جنس أخر في أي سياق آخر. فالمفاهيم الأكثر تداولا بين محلّلي الخطاب مهما كانت مشاربهم هي "القوّة" "الهيمنة"، "السّيطرة"، "الإيديولوجيا"، "الفئة"، "الجنس"، "العرق"، "التّمييز" "المصالح"، إعادة الإنتاج"، "المؤسّسات"، "البنية الاجتماعيّة" أو "النّظام الاجتماعي"، إلى جانب مفاهيم تحليل الخطاب الأكثر تداولا.(13)

لذلك لا نستغرب عند محلّلي الخطاب الإشارة إلى رواد الفلسفة الاجتماعيّة وعلماء الاجتماع المعاصرين عند تحليلهم لهذه المفاهيم الأساسيّة. أو إشارتهم إلى مدرسة فرنكفورت و إلى هابرماس، وإلى فوكو عند حديثهم خاصّة عن مفاهيم القوّة والسّيطرة والانضباط و"نطاق الخطاب".'*orders of discourse*'.

ففي السّنوات الأخيرة أصبحت العديد من الدّراسات المهتمّة باللّغة والثّقافة والمجتمع متأثّرة ببوريو بشكل متزايد، والاهتمام بالنّظريات الماركسيّة الجديد مثل تلك المستوحاة من قرامشي وغيره. يقول فاركلوف: "من المفيد دائما استخدام تحليل الخطاب مع أشكال أخرى من التّحليل، كـــ: مبحث الأعراق والثّقافات وأشكال دراسة المؤسّسات".(14)

إنّ تحليل الخطاب يريد أن يجمع أو يتجاوز ضربين من الدّراسات، "الدّراسات التي تستند إلى النّظريّة الاجتماعيّة، والتي تنزع إلى عدم تحليل النّصوص، والدّراسات التي تركّز على لغة النّصوص إنّما تنزع إلى عدم الخوض في المسائل الاجتماعيّة النّظريّة."(15)

هذه المقدّمات تبيّن الرّوافد المعرفيّة المختلفة والمتنوّعة التي ينهل منها تحليل الخطاب، ورغم أنّ المصطلحات التي يستخدمها تتقاطع مع تلك التي نجدها عند

المنارة للاستشارات

الفلاسفة وعلماء الاجتماع والإثنوغرافيين والأنتروبولوجيين وعلماء النّفس، فإنّ تحليل الخطاب لا يشترك في الواقع مع هذه المباحث في نفس الخيار المنهجي.

يبدو أن تحليل الخطاب النّقدي يطمح، كما يرى فاركلوف أبرز منظريه، إلى أن يكون فضاء متعدّد الاختصاصات: "توجد حاجة لتطوير معالجات لتحليل النّصوص من خلال حوار عابر للاختصاصات ***(transdisciplinary Dialogue)*** يحمل عدّة منظورات حول اللّغة والخطاب ضمن النّظريّة والبحث الاجتماعيين".(**16**)

وقد لخّص فركلوف ووادك المبادئ الأساسيّة لتحليل الخطاب النّقدي كالتّالي:

- دراسة المشاكل الاجتماعيّة.
- علاقات القوّة هي علاقات خطابيّة.
- الخطاب يشكّل المجتمع والثّقافة.
- الخطاب يفعّل العمل الإيديولوجي.
- الخطاب تاريخيّ.
- هو الرابط بين النصّ والمجتمع، فهو الواسطة.
- تحليل الخطاب هو تأويليّ وتوضيحيّ.
- الخطاب هو شكل من أشكال العمل الاجتماعيّ.(**17**)

المنارة للاستشارات

3-اللّغة والمجتمع في تحليل الخطاب النّقدي

يعتبر فاركلوف أنّ "اللّغة جزء من الحياة الاجتماعيّة لا يمكن اختزاله، وبينه وبين عناصر الحياة الاجتماعيّة الأخرى علاقات منطقيّة جدليّة تجعل من الضّروري أن يأخذ البحث والتّحليل الاجتماعي اللّغة دائما بعين الاعتبار".(18)

يعي محلّلو الخطاب النّقدي دورهم الواضح في المجتمع، مواصلة للتقاليد التي ترفض إمكانيّة وجود علم "خال من القيمة"، ويدعمون رأيهم بالقول بأنّ العلم والخطاب العلمي باعتباره جزءا منه، يتأثّر بالبنية الاجتماعيّة، وينتج عن التّفاعل الاجتماعيّ. وتشكيل النّظريّة ووصفها وتفسيرها، بما في ذلك تحليل الخطاب، يقع في صلب الاجتماعي والسّياسي. فالتّفكير في دور الباحثين في المجتمع وفي السياسة هو جزء لا يتجزأ من مؤسّسة تحليل الخطاب.

ويعتبر بعض علماء الاجتماع أنّ تحليل الخطاب النّقدي ليس نقديا بالمعنى الدّقيق للكلمة، إلاّ إذا كان منغرسا في نقد جذريّ للعلاقات الاجتماعيّة، وساعيا إلى إلقاء الضوء على الدّور الذي تعلبه اللّغة في خلق هذه العلاقات الاجتماعيّة وإدامتها. وفي نهاية الأمر فإنّ تحليل الخطاب النّقدي يهدف إلى إحداث التّغيير الاجتماعي.(19) وهذا الموقف ينبني، أساسا، على اعتبار أنّ للخطاب دورا فعّالا في بناء المجتمع، وأنّ تحليل الخطاب وتحليل الخطاب النّقدي على وجه الخصوص، قد يكون له دور في تفكيكه، هذه الافتراضات نجدها في النّظريّة النّقدية، وفي ما بعد البنيويّة. فهبرماس يرى مثلا أنّ اللّغة هي وسيلة للهيمنة وللقوّة الاجتماعيّة. وفي تحليل الخطاب النّقدي، يعتبر الخطاب والأعمال الاجتماعيّة مترابطين في علاقة جدليّة. فاستعمال اللّغة يعكس البنى الاجتماعيّة، ولكنّ في نفس الوقت يعيد فرض البنى الاجتماعيّة، كما يذهب إلى ذلك فاركلوف،(20) الذي يقول مثلما أنّ

المنارة للاستشارات

الخطاب "يتشكّل اجتماعيا، فهو أيضا تشكيل اجتماعيّ".(**21**) فالبنسبة لفاركلوف لا يحيل الخطاب فحسب إلى إنتاج واستهلاك النّصّ والكلام بل يحيل أيضا إلى مجمل عمليّة التّفاعل الاجتماعي. ليس النّصّ والكلام فيها إلاّ عناصر مخصوصة، "لا تنتج النّصوص فقط من البنى اللّسانيّة والنُطق الخطابيّة، إنّها تنتج أيضا من البنى الاجتماعيّة الأخرى، ومن الممارسات الاجتماعيّة في جميع جوانبها. لذلك يصعب الفصل بين العوامل التي تبلور النّصوص".(**22**)

إنّ الفاعلين الاجتماعيين ليسوا أحررا حريّة مطلقة في إنتاج خطاباتهم فهناك قيود اجتماعيّة وقيود لغويّة تتحكم في إنتاجاتهم. فـ"النّصوص باعتبارها مكوّنة في الأحداث الاجتماعيّة لا تنتج فقط من الإمكانات التي تحدّدها اللّغات. نحتاج إلى نتعرف إلى كيانات منظّمة متوسّطة ذات طبيعة لسانيّة، هي العناصر اللّسانيّة الدّاخلة في شبكات ممارسات اجتماعيّة. أطلق على هذه الكيانات تسمية "نُطق خطابيّة" ***orders of discourse***، والنّطاق الخطابي شبكة من الممارسات الاجتماعيّة في جانبها اللّغوي. ليست عناصر النّطق الخطابيّة أشياء مثل الأسماء والجمل (هذه جزء من البنى اللّسانيّة) ، إنّما هي ضروب خطاب وأصناف وأساليب (...) تنتقي هذه العناصر بعض الاحتمالات التي تحدّدها اللّغات وتستبعد أخرى، وتسيطر على التّغيير اللّساني في مجالات معيّنة من الحياة الاجتماعيّة، لذلك يمكن اعتبار النُّطق الخطابيّة هي التي تنظّم التّغيير اللّساني وتتحكّم به."(**23**)

فالخطاب ليس فقط ممارسة لغويّة، بل هو كذلك ممارسة اجتماعيّة تساهم في تشكيل النّظم الاجتماعيّة، والوضعيّات، والمؤسّسات، والإيديولوجيّات التي يتضمّنها. نتيجة لهذه التّصوّرات فإنّ استعمال اللّغة ينتج ويحوّل المجتمع والثّقافة بما في ذلك علاقات القوّة. هناك طريقة واحدة تبدو أساسيّة تحدث بها التّأثيرات اللّغويّة على الأفعال الاجتماعيّة، وهي بالتّطبيع مع الإيديولوجيا ' ***normalization***'

of ideology، (أيضا من خلال شرعنتها ***legitimation***)، ورغم صعوبة تحديد مصطلح الإيديولوجيا وتعدّد تعريفاته فإن المفهوم الغالب عليه في تحليل الخطاب النّقدي "أنّها رؤية للعالم". إنّ الإيديولوجيات باعتبارها رؤى للعالم، توفّر منوالا للعمل الاجتماعيّ، وبذلك قد تؤدّي هي أيضا إلى اللامساواة والظّلم. والسّؤال الأهم الذي يطرح في هذا السّياق، هل الخطاب هو الطّريقة الأنجع لنشر الإيديولوجيا؟ (**24**)

يتناول تحليل الخطاب النّقدي إلى حدّ كبير، خطاب الفاعلين الاجتماعيين الأقوياء (ذوي السلطة)، حيث يتمّ تعريف السّلطة، حسب الماركسيين الجدد، باعتبارها امتيازات الوصول إلى مصادر القيمة الاجتماعيّة، بما في ذلك الثّروة والمكانة، ولكن أيضا بشكل أساسي، قنوات نشر المعلومة. فالخطاب الإعلامي مثلا واسع الانتشار، ومؤثّر في صناعة المواقف. وآخرون، أفرادا أو مؤسّسات بما في ذلك رجال السّياسة والشّركات، أضحوا ذوي سلطة بفضل الامتيازات التي يتحصّلون عليها في الإعلام. أمّا الفاعلون العاديون فهم يفتقرون إلى السّلطة لأنّه لا يمكنهم الوصول إلى قنوات الاتّصال، مع تساويهم في الرّأسمال الرمزي.

هذه العلاقة بين بنى اللّغة والبنى الاجتماعيّة، هي ما نجده في تمييز "جي" ***Gee, J. P.***، بين الخطاب بـــ ***d*** الصّغيرة ***discourse***، والخطاب بـــ ***D*** الكبيرة ***Discourse***، أو في اصطلاحيّة فان ديك التي سنراها لاحقا بين المستويات الصّغرى والمستويات الكبرى، الخطاب في المعنى الأوّل يحيل إلى مقاطع محدّدة من النّصّ و الكلام أو من النّشاط الذي يكشف عنه إنتاج واستهلاك النّصّ و الحديث، أمّا الخطاب في المعنى الثّاني فيحيل على الممارسات التّواضعيّة، بما في ذلك الممارسات اللّسانيّة، حيث تكون خطابات أفراد المجموعة البشريّة، بالمعنى الأوّل للخطاب، منخرطة فيها وخاضعة لها. فالخطاب يحيل إذن في نفس الوقت إلى

المنارة للاستشارات

الطرق التّواضعيّة للتفكير في العالم وتمثّل ما هو اجتماعيّ، بما في ذلك اللّساني، وإلى الممارسات العمليّة التي يحتويها. والخطاب في كلا معنييه، موجود في مجالات مختلفة من التّجربة. ويستعمل فاركلوف مصطلح "نطاق الخطاب" ليحيل إلى كامل البيانات المشاهدة في جانب من الميدان الاجتماعي. وقد اهتمّ تحليل الخطاب بدراسة العلاقة بين الخطاب والعمل الاجتماعي في مجالات متنوّعة مثل العرق والهجرة والجنس والحرب والجريمة والتّعليم والبيئة.(**25**) لذلك فإنّ العلاقة بين الخطاب بمعناه الأوّل ولنصطلح على تسميته في العربية باسم الخطاب الأصغر، والخطاب بمعناه الثّاني، ولنصطلح على تسميته باسم الخطاب الأكبر، مترابطة، فالخطاب الأصغر، بمعنى كيفيّة التّعبير وأدواته، يخضع لمراقبة الخطاب الأكبر، ولكن في نفس الوقت فإنّ الخطاب الأكبر يتشكّل عبر النّماذج التي يقدّمها الخطاب الأصغر. فهيمنة ضرب من الخطاب الأكبر في المجتمع، يرجع إلى عدّة عوامل من بينها قوّة الفاعلين الاجتماعيين الممارسين للخطاب الأصغر. بهذا المعنى فإنّ الخطاب وخطاب الفاعلين الاجتماعيين الأقوياء أو المؤسّسات القويّة بشكل خاصّ، تمثّل موقعا لإعادة صياغة الإيديولوجيا، ولإعطاء شرعيّة للفعل الاجتماعي. ولعلّ هذا ما يفسّر تركيز تحليل الخطاب النّقدي على المستوى الأصغر، وعاى التّحليل النّقدي للّغة التي يستخدمها من هم في السّلطة.(**26**)

إنّ العلاقة بين الخطاب الأصغر والخطابات الكبرى المهيمنة هي أحد مظاهر تطبيع ***normalization*** الطّبيعة الإيديولوجيّة للخطاب، من خلال تجسيداتها المتكرّرة في الخطاب، ويخفي الخطاب بذلك الإيديولوجيا التي تجعل ما هو اجتماعيّ يبدو طبيعيا. ويضطلع تحليل الخطاب النّقدي أحيانا بدور تبديد الغموض وإزالة الإبهام الحاصل في العلاقة بين الخطاب الأصغر والخطاب الأكبر.(**27**)

المنارة للاستشارات

نفس التّصوّر يقدّمه فان ديك من خلال مصطلحيّ الأكبر والأصغر ***Macro vs. Micro***

إنّ استخدام اللّغة والخطاب والتّفاعل اللّفظي والتّواصل تنتمي إلى المستويات الصّغرى من النّظام الاجتماعي. والسّلطة والهيمنة وعدم المساواة بين الفئات الاجتماعيّة عادة ما تكون مصطلحات تنتمي إلى المستويات الكبرى من التّحليل. ما يعني أن تحليل الخطاب أقام جسورا نظريّة بين المقاربات الصّغرى والمقاربات الكبرى ذات الأسس الاجتماعيّة. في التّفاعل اليومي وفي التّجربة اليوميّة يرد المستوى الأصغر والمستوى الأكبر (وبوساطة "المستويات الوسيطة" ***'meso-levels'***) بشكل موحّد، أي في شكل وحدة كليّة. ومثال ذلك أنّ كلمة عنصريّة في البرلمان هي خطاب في المستوى الأصغر، ناتجة عن التّفاعل في الوضعيّة المخصّصة للنقاش، ولكن في نفس الوقت قد تكون جزءا أساسيا من التّشريعات، وإعادة إنتاج العنصريّة، في المستوى الأكبر.(**28**)

هناك العديد من الطرق للربط بين هذه المستويات للوصول إلى تحليل نقدي موحّد:

أ- أعضاء المجموعات: إنّ مستعملي اللّغة المنخرطين في الخطاب هم أعضاء في جماعات اجتماعيّة أو منظّمات أو مؤسّسات، وبالمقابل فإنّ هذه المجموعات تعمل عن طريق أعضائها المكوّنين لها.

ب- الإجراءات العمليّة: إنّ الأعمال الاجتماعيّة للفاعلين الاجتماعيين تشكّل جزءا أساسيا من أعمال المجموعة الاجتماعيّة والعمليّات الاجتماعية.

ت- سياق البنية الاجتماعيّة: إنّ وضعيات التّفاعل الخطابي هي جزء أو مكوّن من البنية الاجتماعيّة. ومثال ذلك أنّ مؤتمرا صحفيا يمكن أن يكون ممارسة

المنارة للاستشارات

نموذجيّة عن المنظّمات والمؤسّسات الإعلاميّة. إنّ السّياقات الموضعيّة والعامّة ترتبط فيما بينها، ويمثّل كلاهما قيودا على ممارسة الخطاب.

ث- العرفان الشّخصي والعرفان الاجتماعي: إنّ مستخدمي اللّغة هم فاعلون اجتماعيّون يمتلكون على حدّ سواء عرفانا شخصيا وعرفانا اجتماعيا: الذّكريات الشّخصيّة والمعارف والآراء، فضلا عن تلك التي يتقاسمها أعضاء المجموعة أو الثّقافة ككل.

وإذا ركّزنا أكثر على البعد الخطابي لهذه المستويات الصّغرى والكبرى والوسيطة، التي ذكرنا، فإنّه يمكن تحديدها كالتّالي: أ- أمثلة محددة من النّصّ أو المحادثة. ب- الأحداث التّواصليّة الأكثر تعقيدا، (جميع الأعمال الدّاخلة في إنتاج وقراءة التّقارير الإخباريّة). ت- التّقارير الإخبارية بشكل عام، باعتبارها جنسا. ث- نطاق الخطاب في وسائل الإعلام.(**29**)

لا يتوجّه تحليل الخطاب النّقدي مباشرة نحو إيديولوجيات مخصوصة، من حيث المبدإ، إذ يمكن أن يطبّق على الخطابات الاجتماعيّة والسّياسيّة لأيّ إيديولوجيا. ومع ذلك فإنّ المقصود بالنّقد تحسين النّظم الاجتماعيّة، وهذا يقتضي الانطلاق من تصوّرات معياريّة وأخلاقيّة مخصوصة. مع أنّ أغلب الممارسين لتحليل الخطاب النّقدي يتبنّون فلسفة ليبراليّة أو إنسانيّة على نطاق واسع، وبالتّالي يميلون إلى استهداف الخطابات الأكثر تحفّظا التي تتعارض مع وجهة نظرهم، والتي ينظر إليها على أنّها الخطابات الأكثر هيمنة. ونتيجة لهذا الالتزام السّياسي المفتوح، فإنّ تحليل الخطاب النّقدي يواجه اتهامات بالانحياز، والشّك في صلاحيّة تحليلاته. لذلك فإنّه لا وجود في الواقع، كما يرى فاركلوف، لبحث متحرّر من القيم، وكل باحث يعلن موقفه وهو ينجز بحثه، يعتبر ضربا من الموضوعيّة. ونحن نعتقد أن القيام

المنارة للاستشارات

بتحليل نقديّ للخطاب أمر ممكن إذا تسلّحنا بالمعارف العلميّة اللازمة بما في ذلك نظريّات اللّغة.(30)

ومن المفاهيم المركزيّة إضافة إلى الخطاب الأصغر والخطاب الأكبر، في أعمال محلّلي الخطاب النّقدي مفهوم السّلطة، وبصورة أكثر تخصيصا السّلطة الاجتماعيّة للجماعات والمؤسّسات. وبصورة إجماليّة فإنّ التّحليل الفلسفي والاجتماعي يحدّد السّلطة الاجتماعيّة في لفظ المراقبة ***Power as control*** . فجماعة مّا تمتلك نسبيا سلطة حسب درجة قدرتها على مراقبة أفعال وعقول أعضاء مجموعات أخرى. وهذه القدرة تقتضي قاعدة سلطويّة تعتمد على موارد مثل القوّة والمال والمكانة والشّهرة والمعرفة والمعلومات، والثّقافة وغيرها. وهناك أنواع مختلفة من السُّلط التي نميّز بينها عن طريق المصادر التي تقوم عليها هذه السّلطة: مثل السّلطة القسريّة في الجيش، وسلطة الرجال العنيفين المؤسّسة على القوّة، وسلطة الأغنياء التي يستمدّونها من أموالهم، وسلطة الإقناع نسبيا عند الآباء والأمهات والأساتذة والصّحفيين، وقد تبنى السّلطة على المعرفة وعلى المعلومة. وقد تتحقّق هيمنة فئة اجتماعيّة على أخرى من خلال نظام قيمي والعادات والأعراف والتّقاليد التي تحكم البنية الاجتماعيّة لمجتمع من المجتمعات. وتعتبر الهيمنة الطّبقيّة والهيمنة على أساس الجنس والعنصريّة أمثلة معبّرة عن هذه الهيمنة. وليس ضرورة أن يكون كلّ أعضاء الفئة المهيمنة يمارسون سلطتهم على أفراد الفئة المستضعفة، فهيمنة الفئات لا يعني هيمنة الأفراد كلّ على حدة، فقد يمارس أفراد من الفئات المستضعفة هيمنتهم على أفراد من الفئات الأخرى.

إنّ تحليلنا العلاقة بين الخطاب والسّلطة يقتضي منّا أوّلا التّوجّه نحو شكل مخصوص من الخطاب، وليكن مثلا الخطاب السّياسي أو الإعلامي أو العلمي، وهي في حدّ ذاتها مصدر للسلطة. وثانيا أنّ أعمالنا مراقبة من قبل عقولنا، لذا نمتلك

المنارة للاستشارات

القدرة على التّأثير في عقول النّاس، وفي آرائهم وأفكارهم، ونحن بذلك نسيطر بطريقة غير مباشرة على أعمالهم. ثالثا إنّ عقول النّاس عادة ما تتأثّر بالنّصّ والمحادثة. لذلك فالخطاب يتحكّم بصورة غير مباشرة في أفعال النّاس وسلوكاتهم، مثلما يتمّ عن طريق الإقناع والتّلاعب. لذلك فإنّ الذين يسيطرون على الخطاب يكون لهم القدرة أكثر من غيرهم على السّيطرة على عقول النّاس وأفكارهم وتصرّفاتهم.

ويركّز تحليل الخطاب النّقدي خاصّة على إساءة استخدام هذه السّلطة، فالسّيطرة على الخطاب وإساءة استخدامه من أجل السّيطرة على عقول النّاس وتصرّفاتهم، هو ما توظّفه الفئات الغالبة لتحقيق غلبتها على الفئات الأخرى. لذلك فإنّ الهيمنة يمكن أن تعرف باعتبارها استعمالا غير مشروع للسلطة.(**31**)

يمكن تبسيط علاقة تحليل الخطاب النّقدي بقضيّة السّلطة الخطابيّة في الأسئلة الثلاث التّالية:

- كيف تراقب الفئات القويّة الخطاب العام؟
- كيف يراقب الخطاب عقول الفئات الأقل قوّة وأفعالها؟ وما هي العواقب الاجتماعيّة لمثل هذه المراقبة، مثل عدم المساواة الاجتماعيّة؟
- كيف تفعل المجموعات المهيمنة عند تحدي أو مقاومة هذه السّلطة؟

ويبدو أنّ هناك العديد من المصادر الأخرى التي تحدّد أسس السّلطة عند الجماعات والمؤسّسات، من ذلك الخطابات العامّة ووسائل الاتّصال التي تمثّل مصدرا رمزيا هاما، مثل مصادر المعرفة والمعلومة.

المنارة للاستشارات

فأغلب الناس يمارسون المراقبة النّشطة في حياتهم اليوميّة من خلال محادثاتهم مع أفراد الأسرة والأصدقاء أو الزملاء، والمراقبة السلبية، كتلك التي تحدث عبر وسائط الاتصال.(32)

وفي أحيان كثيرة يكون النّاس العاديون نسبيا الأهداف السلبية للنصّ والمحادثة، يكون ذلك على سبيل المثال من رؤسائهم ومدرّسيهم أو من السّلطات كرجال الشّرطة والقضاة والبيروقراطيين، ومفتشي الضرائب.

هناك ضرب من الأصناف الاجتماعيّة والمؤسّسات لهم القدرة على المراقبة والتّحكم، ويمثّلون النخبة، فالأساتذة يراقبون الخطاب العلمي، والمدرسون الخطاب المدرسي، والصّحفيون الخطاب الإعلامي، والمحامون الخطاب القانوني، والسّاسة الخطاب السّياسي، وغيرها.

إنّ المراقبة ومسار الخطاب من المفاهيم التي يضطلع تحليل الخطاب النّقدي ببيان دورها في أشكال السّلطة، ولكن هناك مفاهيم أخرى تتعلّق بالسّياق وبالنّصّ في حدّ ذاته. (33)

يرى فان ديك أن البحث النّقديّ في الخطاب يقتضي تلبية عدد من المتطلّبات من أجل تحقيق أهدافه بشكل فعّال:

- من أجل أن تكون الأبحاث المنخرطة في تحليل الخطاب النّقدي مقبولة، يجب أن تكون أفضل من الأبحاث الأخرى.
- يجب أن يتمّ التركيز في المقام الأول على المشاكل الاجتماعية والقضايا السياسية، بدلا من التركيز على النماذج والموضات الحالية.
- إنّ أي تحليل نقدي كاف تجريبيا للمشاكل الاجتماعيّة عادة ما يكون متعدّد الاختصاصات.

المنارة للاستشارات

– بدل التّركيز على تحليل بُنى الخطاب، يجب التّركيز على دراسته من حيث خصائص التّفاعل الاجتماعيّ والبنية الاجتماعيّة على وجه الخصوص.

– إنّ تحليل الخطاب النّقدي يوجّه أنظاره أساسا نحو الطرق التي تقوم بها بنى الخطاب بسنّ وتشريع وإعادة إنتاج أو تغيير القوّة والهيمنة داخل المجتمع. **(34)**

4–

5–تحليل الخطاب النّقدي والنّظريات اللّسانيّة

بما أنّ تحليل الخطاب توجّه متعدّد الاختصاصات كما يقرّ بذلك فاركلوف، فإنّه يمكن لممارسيه أن يكون لهم خلفيّة لسانيّة، كما يمكن أن تكون لهم خلفيات في علم الاجتماع وعلم النّفس والسّياسة. إنّ طبيعة الانفتاح التي يختصّ بها تحليل الخطاب النّقدي يجعل للّسانيات مكانة جوهريّة نسبيا في هذا التّخصّص. فيمكن حسب مارتن للنحو أن يزوّد محلّلي الخطاب بلغة تقنيّة تمكّنهم من التّحدّث عن اللّغة، ومقاربة المعنى عن كثب.

ورغم أنّ محلّلي الخطاب لا يتفقون كليّا مع قول هاليداي إنّ أيّ تحليل للخطاب لا يستند إلى النّحو ليس تحليلا على الإطلاق، وإنّما هو مجرّد تعليق على النّصّ.**(35)** فإنّهم يلحّون على ضرورة أن تظلّ اللّسانيّات في صلب تحليل الخطاب النّقدي، ليس فقط من أجل أن يحتفظ بشيء من الصّرامة، بل أيضا من أجل المحافظة على أصالته. فما يميّز تحليل الخطاب النّقدي عن المقاربات النّقديّة الأخرى في تحليل الخطاب هو اعتماده الصّارم على اللّسانيّات.

المنارة للاستشارات

ولكن بداية يجب التّمييز بين الخطاب أو النّصّ موضوعا للّسانيات وبين تحليل الخطاب مبحثا مختلفا، جعل من اللّسانيات رافدا من أهم روافده. وإن كان الفصل الكليّ غير متيسّر لتأثر هذا بتلك. فنشأة الخطاب موضوعا يعود إلى مباحث وتخصّصات مختلفة أهمّها نحو النّص ولسانيات النّصّ ولسانيات الخطاب، والبراغماتية، بما هي مباحث لسانيّة نشأت في مرحلة ما بعد اللّسانيات البنيوية رغبة في تجاوز البحث في الجملة إلى البحث في الخطاب.

إنّ الاهتمام بالنّصّ موضوعا للبحث اللّسانيّ ومحاولة التّعامل معه باعتباره وحدة لسانية أساسية (*Unité de base*)، يرجع أساسا إلى تأثير لسانيات النّصّ الألمانية التي حاولت البحث عن نحو للنصّ (*Grammaire de texte*) يكون مناظرا لنحو الجملة، وذلك بتوسيع مفهوم القدرة (*Compétence*)، الذي بنى عليه تشومسكي نحوه التّوليديّ، ليتجاوز حدود الجملة إلى ميدان النّصّ.(**36**)

ولكن محاولات البحث عن شكل نحوي يحكم بناء النّصّ كذاك الذي تخضع له الجملة لم تنجح، فالنّصّ بقي عند البعض "عكس الجملة لا يملك نسقا ولا تركيبا ولا بنية، ويترتب على ذلك أن ليس له نحو، ولا يمثل موضوع بحث للسانيات، فـ"مع الجملة نغادر ميدان اللّغة باعتبارها نسقا من العلامات، كما يرى بنفنست، وندخل في كلية أخرى، في اللّغة باعتبارها وسيلة إبلاغ حيث يكون التعبير خطابا" .(**37**)

فلا يمكن أن نظفر بقواعد إلزاميّة يخضع لها النّصّ وتحكم تعالق وحداته أو جمله كتلك التي يخضع لها التّركيب داخل الجملة، فنظام التّعالق النّحوي تقف حدوده عند الجملة، يقول شارول (*Charolles*) مؤكدا هذا الرأي: "بالخروج

المنارة للاستشارات

عن الجملة لا يوجد أبدا... إطار يشكل مسبقا توزيع الوحدات النّطقية ولا توجد بنية شكلية يمكن للجمل أن ترجع إليها لأجل احتلال موضع محدد سلفا". (38)

لكنّ الجمل في النّصّ ترتبط وفق تعالقات مخصوصة وعبر وسائل لغوية متنوعة، وقد حدد هاليدي وحسن هذه الوسائل، عند دراستهما للغة الأنجليزية، في خمسة أشكال علاقيّة كبرى هي: الإحالة (*Référence*) والحذف (*L'ellispe*) والوصل (*conjonction*) والاتّساق المعجمي (*cohesion lexicale*)، أو الاستبدال (*substitution*).

لكنّ علاقة النّصّ بالجملة بقيت محلّ إشكال، فلا يمكن أن نحصر دلالات النّصّ في دلالات مجموع جمله، فالنّصّ يبقى أكبر مما تفيده جمله مجتمعة فهو "كل أكبر من مجموع دلالات جمله التي تكوّنه".(39)

ويحدد لانغ (*Lang*) علاقة النّصّ بالجملة في الخلاصات الثلاث التالية:

1 ــ النّصّ هو الإطار الذي داخله يزال عن الجملة إبهامها.

2 ــ النّصّ يحتوي عديد الفرضيات والعمليات التي تتجاوز مجموع الجمل التي تكونه.

3 ــ النّصّ له أشكال من الشّرح أخرى غير الجملة.(40)

فالجمل عادة ما تضم عناصر لا يمكن تأويلها بالاقتصار على الجملة نفسها، بل بالانفتاح على الجمل الأخرى من النّصّ، مثلما أن تأويل النّصّ لا يمكن إرجاعه إلى مجموع تأويلات جمله المكونة له. وما يلاحظ أن هذين الاستنتاجين مترابطان، "فإذا كانت الجمل لا يمكن أن تؤول في كليتها معزولا بعضها عن بعض، فلا

المنارة للاستشارات

نستطيع لأكثر من سبب معقول أن نُرجع تأويل الخطاب إلى تأويل جُمله بما أن هذا التأويل لن يكون مكتملا"(41).

بمعنى آخر إن النّصّ ليكون نصّا يجب أن يتوفر فيه مبدأ الاتّساق الذي يقصد به عادة "ذلك التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكلة لنصّ/ خطاب مّا ويهتم فيه بالوسائل اللّغوية (الشّكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"(42).

ويستطيع كل متكلم للغة ما أن يعي دون أدنى صعوبة إذا استمع لمقطع مّا، مؤلف من أكثر من جملة، إن كان كلا متناسقا أو هو فقط مجرد تجميع لجمل ليس بينها علاقة، "فكلمة نصّ في اللّسانيات تستعمل لتعيين كل مقطع، مكتوبا كان أو منطوقا، مهما كان طوله، ويكون كلا متناسقا، ونحن نعلم بصورة عامة إذا كان نموذج مّا من لغتنا يمثل نصّا أم لا" (43).

ولكن هذا التحديد قد لا تؤيده الممارسة النّصّية في العديد من الأحيان، فتقديم نصّ لا يخضع لترتيب محكم وتنعدم فيه العلاقات والعلامات التي تربط بين جمله قد لا يمنع البعض من اعتباره نصّا (44). وبذلك يصبح مفهوم الاتّساق غير قادر لوحـــــده علـــــــــى تمييز النّصّ من اللانصّ. وهو ما يدفع إلى البحث عن مفهوم أعمق من مفهوم الاتّساق وهو مفهوم الانسجام (*cohérence*) الذي يتجاوز مستوى التّرابطات الشّكلية ليبحث عن التعالقات الدّلاليّة العميقة بين عناصر النّصّ. لقد اعتبر محللو الخطاب الانسجام مفهوما مركزيا لتعريف الخطاب فهو يشغل نفس الأهمية التي يلعبها النّحو بالنسبة إلى التّركيب. فمثل الانسجام في النّصّ كمثل النّحو في الجملة. لذلك يعرف البعض (45) الجملة بأنّها:

المنارة للاستشارات

+ كل متتالية من المورفيمات تعتبر جملة شرط خضوعها لقواعد النّحو.

وحدّد الخطاب قياسا على ذلك بكونه:

+ كل متتالية من الجمل تعتبر خطابا شرط أن تكون منسجمة. ولذلك فإن أهمية الانسجام بالنّسبة إلى الخطاب كأهمية النّحو بالنسبة إلى الجملة، وقد سعى النّحاة إلى ضبط مجموع القواعد التي تحكم الوحدات الدّاخلية للجملة، بمعنى البحث في نحويّة الجملة. وحُدّدت النّحويّة في نقطتين أساسيتين:

1 ــ النّحويّة هي الوظيفة التّعريفية للجملة.

2 ــ النّحويّة تعرّف باحترام مجموع القواعد التي تحكم الانتظام التّركيبي للمورفيمات في لغة مّا.

وسعى محللو الخطاب قياسا على النّحاة إلى البحث عن مجموع القواعد التي تحكم تنظيم الوحدات الدّاخلية للخطاب، أو بعبارة أخرى مجموع القواعد المعرفة للانسجام وبذلك يكون الانسجام مثل النّحويّة قابلا لتعريفين:

1 ــ الانسجام هو الوظيفة التّعريفيّة للخطاب.

2 ــ الانسجام يعرف باحترام مجموع القواعد التي تحكم الانتظام الخطابي لوحدات الخطاب في لغة مّا(**46**).

ومثلما يمكن ملاحظته فالبند الثاني من التّعريف ضروري، لأننا لو اقتصرنا على البند الأول لوقع التّعريف في الدّور.

1 ــ الانسجام هو الوظيفة التّعريفية للخطاب.

2 ــ الخطاب هو كل متتالية من الجمل تكون منسجمة.

المنارة للاستشارات

إنّ تجنّب الدّور يقتضي وجود مجموعة من القواعد تحكم منظومة العلاقات الدّاخلية في الجملة أو في الخطاب. وفي ظل غياب هذه القواعد تبقى هذه التّعريفات دائرية وغير ناجعة.

وإذا كانت التركيبيّة (*syntaxe*) نجحت في استخراج هذه القواعد فإنّ تحليل الخطاب قد أخفق في استخراج قواعد من هذا النّوع ونشك كما تقول آن ريبول (*Anne Reboul*) وجاك موشلير (*Moeschler Jaques*) في أنّه يستطيع أن يفعل(**47**).

ورغم محاولة بعض باحثين أمثال شارول (*charolles*) تعيين مجموعة من القواعد تحدد انسجام النّصّ(**48**)، فإن هذا المفهوم ظل غائما، غير دقيق، ولم تستطع محاولة مقارنته بالنّحو الوصول إلى نتائج عملية. ولكن المفهوم يبقى رغم عسر تحديده تحديدا دقيقا من المفاهيم الأساسية المحددة لمفهوم الخطاب بشكل لا يمكن الاستغناء عنه.

وتطوّر الأمر مع التّداوليين، الذين اهتموا بمقاصد القول، في إطار تداوله بين المتخاطبين، فأضافوا أنّ النّصّ ليكون منسجما دلاليا يقتضي أن يحمل معنى مشتركا تؤديه جميع عناصره، هذا المعنى المشترك هو ما يطلق عليه آن ريبول وجاك موشلير "القصدية الإخبارية الكلّية" (*globale Intention informative*). فالنّصّ باعتباره خطابا يدور بين باث ومتقبل، ويسعى إلى تحقيق التّواصل بين هذين الطّرفين، يتطلب أن يؤدي دلالة واضحة ومعنى جامعا وقصدية إخبارية كليّة تُمكّن من تحقيق التّواصل بين قطبي عملية التخاطب. ومثلما أنّ النّصّ ليس مجموع الجمل التي تكوّنه بل هو يتجاوزها ويحتويها فالقصدية الإخبارية الكلّية ليست مجاع قصديات إخبارية جزئية (*Intention informative locale*)، كما أن تأويل الخطاب ليس مجموع تأويلات ملفوظاته المتتالية. والانسجام الدّاخلي لأجزاء

المنارة للاستشارات

النّصّ المختلفة وأداء كل منها لقصدية إخبارية جزئية لا يعني أن للنصّ قصدية إخبارية كلّية وإن كانت القصدية الإخبارية الكلّية لا تنفك عن هذه المقاصد الجزئية.

وعموما فقد أفرزت المجادلات حول النّصّ والخطاب نحوا يهتم بالنّصّ أو ما يسمى أيضا بلسانيات النّصّ، ويهتم بدراسة "مبادئ الاتّساق... والاتّساق الموضوعاتي (*Thématique*) والرّوابط (*Connexite*)"(**49**). ونحوا يهتم بالخطاب أو لسانيات الخطاب ويهتم بتحليل السّياق (*contexte*)، ودراسة المؤشّرات التلفّظية (*marques énonciatives*) لأشكال الخطاب، وبهذا يمكن القول إنّ الخطاب هو النّصّ وقد وضع في سياقات لغوية معينة أو كما تعرفه كاترين فيش: "هو شيء محسوس أنتج في وضعية مكتملة تحت تأثير عديد الروافد المتداخلة لوضعيات خارج لغوية (اجتماعية، أيديولوجية)"(**50**).

هكذا اهتمت الدّراسات اللّسانيّة بالنّصّ/ الخطاب، من زاوية علاقته بالجملة، من حيث بنيته التّركيبيّة أو دلالاته، وبمفهومي الاتساق والانسجام، وبمقاصد القول أي بالنّص وقد أضحى خطابا في سياق تداوله بين المتكلّمين.

ولكن تحليل الخطاب يعتبر مذهبا مختلفا عن هذه التّخصّصات التي جعلت من الخطاب موضوعا، وإن استفاد منها ووظّف نتائجها، وجعل من اللّسانيات أساسا بنى عليه تصوّراته، واستلهم منه أدواته. ولعلّ النّموذج النّحوي الأهمّ الذي استفاد منه تحليل الخطاب النّقدي يتمثّل في نظام النّحو الوظيفي ***Systemic Functional Grammar*** الذي يعود إلى هاليداي، فقد مثّل هذا التوجّه الأرضيّة التي اعتمد عليها تحليل الخطاب النّقدي كما هو عند يونغ وهاريسون ***Young and Harrison*** مثلا. وهي اللّسانيات التي تهتمّ "بشكل أساسي بالعلاقة بين اللّغة من جهة والعناصر الأخرى في الحياة الاجتماعيّة وجوانبها،

المنارة للاستشارات

ويطغى على مفهومها للتحليل الألسني للنصوص التّشديد على الطّابع الاجتماعي للنصوص".(51)

فكلا التّوجّهين تحليل الخطاب النّقدي ونظام النّحو الوظيفي، يتقاسمان العديد من النّقاط المشتركة، فكلاهما ينظر إلى اللّغة مثلا باعتبارها مصدرا اجتماعيا، وكلاهما يهتمّ بأشكال اللّغة فضلا عن محتواها ومعناها، وكلاهما يهتمّ بالعلاقة الجدليّة بين اللّغة والسّياقات الاجتماعيّة، فالاختيارات اللّغويّة تتحكّم فيه الوضعيّات التّواصليّة، ولكن في نفس الوقت فطبيعة هذه الخيارات تحدّد طبيعة ونوع الحدث التّواصلي، بما في ذلك العلاقات الشّخصيّة بين المشاركين في الحدث التّواصلي. وتوسّعت هذه الجدليّة في تحليل الخطاب النّقدي الذي نظر إلى اللّغة لا باعتبار دورها الأساسي في السّياق التّواصلي الظّرفي، بل أيضا في البنى والعلاقات الاجتماعيّة، التي وسمناها سابقا بالخطاب الأكبر، وهي التي تحدّد بدورها سبل استخدام اللّغة. وكلا المقاربتين تنظر إلى اللغة باعتبارها فعلا إنجازيا. فنظام النّحو الوظيفي في خلاف مع النحو التّوليدي، يقدّم نموذجا يرى فيه أنّ الأنساق اللّغويّة بما في ذلك الأنساق النّحويّة، معدّة لتلبية الحاجيات التّواصليّة لمستخدميها. وقد حدّد هاليداي ثلاث وظائف للغة وسم الأولى بالوظيفة الفكريّة ***The ideational function***، وتشكّل نحوا للتمثيل ***a grammar for representation***، وهي وظيفة المحتوى بالنّسبة للغة، وهي التي تتيح للمتكلّمين التّواصل حول الواقع وبالتّالي بنائه. والوظيفة التّشاركيّة ***The interpersonal function***، وتمثّل نحو التّقييم ***a grammar for evaluation***، وهي وظيفة تشاركيّة، يعبّر من خلالها المتكلّمون عن آرائهم ومواقفهم من الواقع. ويتمكّن المتكلّمون من بناء هويّاتهم الاجتماعيّة. وحسب فاركلوف هي الوظيفة التي تصان من خلالها الهويّات الاجتماعيّة للآخرين وتدار العلاقة بين المشاركين. والوظيفة النّصيّة ***The textual function***، وهي

المنارة للاستشارات

الوظيفة التي من خلالها يقع تفعيل المعنى الفكريّ التّشاركيّ، وتنظيمه، بالتّزامن مع السّياق. هذه الوظائف الثلاث بنيت في نحو اللّغة، مثلما أنّ كلّ كلام يعبر ضرورة وبشكل متزامن عن هذه الوظائف. إنّ إعطاء دور بنائيّ للغة في المجتمع، يتعلّق بموقف فاركلوف الذي اعتبر أنّ "استعمال اللّغة هو في آن بناء لـــ **1**- هويّة اجتماعيّة **2**- وعلاقات اجتماعيّة **3**- وأنساق معرفيّة وعقديّة. وبهذا الاعتبار فالخطاب دائما ما يكون "نسيجا" أو متعدّد الطّبقات، فهو يتكوّن من أبعاد مختلفة أو مظاهر، لا نستطيع الفصل بينها إلاّ لأبعاد تحليليّة. ولكن رغم أهميّة هذه الوظائف الثلاث التي حدّدها هاليداي للغة فإنّ وظيفة اللّغة لا تقتصر على تبادل المعلومات وتعبير المتكلّمين عن آرائهم، ولكنهم يقومون بذلك من أجل إقناع الآخرين أو إكراههم على التّصرف بطرق معيّنة. والواقع، ومن منظور تطوّريّ، فإنّ هذه الوظيفة المايكيفليّة ربما كانت القوّة الرئيسيّة الدّافعة إلى تطوير اللّغة. في تحليل الخطاب النّقدي توصف هذه الوظيفة الكبرى بمصطلح الشّرعنة ***legitimation***. والشّرعنة هي الوظيفة الكبرى من خلالها يسعى المتكلون إلى تحقيق التّوافق الاجتماعي مع ذواتهم. وقد عرفها سوشمان ***Suchman*** بقوله: "هي تصوّر عام حيث يفترض أنّ أعمال كائن مّا سليمة، أو مناسبة، أو ملائمة داخل نظام اجتماعيّ له معايير وقيم ومعتقدات وتحديدات".(**52**) وعند شيلتون تمثّل الشّرعيّة وجها إيجابيا، فعلى الحقّ أن يطاع. وعرّفها مارتن روجو وفان ديك ***Martin Rojo and van Dijk*** باعتبارها فعلا "مقبولا عند الفاعلين الاجتماعيين وفي الأعمال والعلاقات الاجتماعيّة، ضمن نظام معياريّ"، في سياق "أعمال مثيرة للجدل أو اتّهامات أو شكوك أو نقد أو صراع". فالشّرعيّة حواريّة بطبيعتها. ووفق فان ديك فهي مرتبطة بفعل القول الدّفاعي، والظروف التّحضيريّة التي تجعل المتكلّم يستجيب للانتقادات الموجّهة إليه أو يستبقها. ونزع الشّرعيّة هو الفعل المقابل. وفيه تحدّ للوجه السّلبي للآخرين، ويتضمّن الأعمال القوليّة التي تحمل

المنارة للاستشارات

معنى اللّوم والاتهام والسّب إلى غير ذلك. إنّ الشّرعيّة ونزع الشّرعيّة يسيران جنبا إلى جنب في ما يسميه فان ديك بـــ"المربع الإيديولوجي" ' ***ideological square***'، فإضفاء الشّرعيّة على النّفس غالبا ما ينطوي على نزع الشّرعيّة عن غيرها. وللشرعيّة أهميّة خاصّة في مجالات ثلاثة، هي السّياسة والقانون والاقتصاد الاجتماعي، فحسب كاب ***Cap*** تمثّل الشّرعيّة الهدف الأساسيّ للمتكلّم السّياسيّ. فغالبا ما يسعى المتكلّمون في السّياسة والإعلام والسّياقات المؤسّساتيّة، إلى توظيف أعمالهم اللّغويّة من أجل إعادة اكتساب الشّرعيّة في مواجهة الإجراءات التي قد لا تتناسب مع القيم أو الخلفيّات المعياريّة. مثل الحديث مثلا، عند السّياسيين عن العقوبات في الحروب، أو التّقارير الصّحفيّة عن عنف الشّرطة، أو الدّعوة إلى تقييد حقوق المهاجرين وحرّياتهم، أو عند دفاع المؤسّسات التّجاريّة الكبرى عن الممارسات التّجاريّة الضّارة. ولذلك فإنّ اكتساب الشّرعيّة أو نزعها، يتمّ عبر استراتيجيّات، في الوظائف الفكريّة والتشاركيّة للغة. لذلك مثّل نظام النّحو الوظيفي دعامة نظريّة أساسيّة للعديد من محلّلي الخطاب، مثل وداك ***Wodak*** الذي أكّد أنّ فهما جيّدا لنحو هاليدي ومقاربته اللّسانيّة يعدّ أمرا ضروريا لتحقيق فهم سليم لتحليل الخطاب النّقديّ.(**53**) ولا يعني هذا أنّ تحليل الخطاب النّقدي يعتمد فقط على النّحو الوظيفيّ، فهناك نظريات لسانيّة مختلفة، منها النّحو التّوليدي والنّحو الوظيفي والنّحو العرفاني، ولا شيء يمنع من استفادة تحليل الخطاب النّقدي من هذه الأنحاء، وهذا ما أكّده فاركلوف. فقد عاد تحليل الخطاب النّقدي في بحوثه المتأخّرة إلى اللّسانيات العرفانيّة، واستفاد من انجازات هذا المنهج في مجالات مختلفة. وقد استفاد تحليل الخطاب خاصّة من هذين التّوجّهين أعني النّحو الوظيفي واللّسانيات العرفانيّة، وإنّ ركّز الأوّل على الخصائص النّصيّة واهتمّ الثّاني بدراسة الظّواهر الذّهنيّة اعتمادا على علم النّفس العرفاني، ولكنّ التّصوّرين قد يكملان بعضهما في تحليل الخطاب النّقدي. لكلّ هذه الاعتبارات يصعب أن نعرّف تحليل

المنارة للاستشارات

الخطاب النّقدي باعتباره منهجا محدّدا، ولكنّه بالأحرى متعدد، ولا يمكن أن يقدّم من خلال اعتماده على مقاربة واحدة تمثّل خلفيته النّظريّة.(**54**)

مثّلت المقاربة اللّسانيّة وجها من وجوه تطوّر تحليل الخطاب النّقدي، في ما يتعلّق بالتّأثيرات العرفانيّة على تمثيل الخطاب وتقييمه. لقد نظّرت المقاربة اللّسانيّة العرفانيّة للعلاقة بين البنى اللّسانيّة في النّصّ والبنى التّصوّريّة في أذهان المشاركين في الخطاب. وتهتم هذه المقاربة أيضا بالخصائص الإيديولوجيّة في النّص وتصورها، وهو ما كان خارج اهتمامات تحليل الخطاب النّقدي. وأغلب هذه الأبحاث تركّز حول الاستعارة، وخاصّة في خطاب الهجرة. (مثل أعمال كارترز بلاك ***Charteris-Black*** وهارت ***Hart*** وسانتا آنا ***Santa Ana***). وقد لعبت مواضيع استعاريّة مثل الحرب والمياه دورا هاما في الخطاب الإعلامي حول الهجرة. وتمّ الاهتمام في البحوث المتأخّرة بأشكال التّمثيل وتقييم الخطاب، والصورنة التي تكمن خلف الاستعارة. مثل اشتغال هارت، مستثمرا رؤية طالمي النّظريّة حول ديناميّة القوّة، على تفاعلات القوى التّصوّريّة في خطاب الهجرة. كما اعتمد هارت على نحو لانقايكر ليشتغل على خطاطات الصّور التي تحكم التّصوّرات التّفاعليّة بين رجال الشّرطة والمتظاهرين خلال الاحتجاجات على رسوم التّعليم سنة **2010**. (**55**)

إنّ استفادة تحليل الخطاب النّقدي من اللّسانيات العرفانيّة يتمثّل أساسا في البحث عن تمثيل عرفانيّ للنصّ في أذهان المتحدّثين والمستمعين، ولأنّ الشّرعيّة الخطابيّة للعمل الاجتماعي تتضمّن ضرورة الأبعاد العرفانيّة.

المنارة للاستشارات

فالخطاب يمكن أن يكون مكوّنا من الهويّات الاجتماعيّة ومن العلاقات الاجتماعيّة، لكن قبل كلّ شيء من "المعرفة، الكامنة في نهاية المطاف في عقول البشر. فالعلاقة الجدليّة بين الخطاب والمجتمع تتم بواسطة البنى العرفانيّة الإيديولوجيّة، وعمليّات التّفاعل بين الأفراد. وبالتّالي فإن المكان المناسب لإعادة إنتاج الإيديولوجي ليست اللّغة ذاتها ولكن أيضا العمليات العرفانيّة بما في ذلك العمليّات التّصوّريّة التي تستدعيها اللّغة. ويؤكّد محلّلو الخطاب النّقدي اليوم الحاجة إلى منظور عرفاني، لا يمكن أن يوفّره نظام النّحو الوظيفي، وأن ينتقل الاهتمام من النّص إلى الخطاب، مع مراعاة الأبعاد العرفانيّة المشاركة في صناعة المعنى.(**56**) ومن أهم محلّلي الخطاب النّقدي الذين أولوا أهميّة للأبعاد العرفانيّة في الخطاب والإيديولوجيا فان ديك في مقاربته العرفانيّة الاجتماعيّة ***socio-cognitive approach***، ونظريته في نماذج الحدث **event models**.(**57**) فالبنسبة لفان ديك، النّماذج العرفانيّة هي الهندسة العرفانيّة المخزّنة في العرفان الاجتماعي والتي توجّه عمليّة إنتاج الخطاب.(**58**) وبدأت تظهر في الأعمال الأخيرة مقاربة عرفانيّة ثانية في تحليل الخطاب النّقدي، تأسّست على المقاربة اللّسانيّة العرفانيّة، التي تشي إلى أنّ مثل هذه النّماذج الذّهنيّة هي تصوّريّة وصوريّة ***imagistic***، بدلا من اعتبارها كامنة في الطّبيعة. وتختلف المقاربة اللّسانيّة العرفانيّة عن المقاربة الاجتماعيّة العرفانيّة ومقاربات النّسق الوظيفي ***systemic functional approaches*** التي تركّز أساسا على عمليات الفهم في الخطاب. فمن المقاربة اللّسانيّة العرفانيّة إلى تحليل الخطاب النّقدي تمّ التّركيز على العلاقة بين النّصّ والصّورنة ***conceptualization***، في سياقات الخطاب الاجتماعي والسّياسيّ. والصّورنة هي عمليّة عرفانيّة ديناميكيّة تشارك في بناء المعنى في اللّغة أو الصّورة ومرتبطة بخلفيّة معرفيّة لإنتاج التّمثيلات الذّهنيّة الموضعيّة ***local mental representations***. وتأخذ هذه المعرفة الخلفيّة شكل خطاطات الصّور،

المنارة للاستشارات

وأطر، واستعارات تصوّريّة. تهدف إذن المقاربات اللّسانيّة العرفانيّة، في إطار تحليل متماسك، إلى التّنظير إلى التأثيرات التّصوّريّة للاختيارات اللّغويّة الإيديولوجيّة دراسة إشكاليّة التكافؤ العرفاني. وهي تعتمد على عدد من الأفكار التي قدّمتها اللّسانيات العرفانيّة.

ليست اللّسانيات العرفانيّة نظريّة واحد ولكنّها مدرسة مخصوصة في اللّسانيات تضمّ العديد من النّظريّات، منها النّحو العرفاني (لانقايكر) ونظريّة الاستعارة التّصوّريّة (لايكوف وجونسن وتيرنر). وتعرّف عن طريق حزمة من الالتزامات الإبستمولوجيّة التي يمكن بيانها على النّحو التّالي:

– المعنى يتأسّس على التّجربة: المعنى متجذّر في الثّقافة والتّجربة الجسديّة. وفي هذه الحالة الأخيرة فالمعنى مأخوذ من التجربة الفيزيائيّة الخارج لسانيّة بما في ذلك التّجربة البصريّة الفضائيّة والحسيّة الحركيّة.

– اللّغة ليست ملكة مستقلّة تشمل عمليّات عرفانيّة مخصوصة، وبدلا من ذلك فاللّغة منظومة متكاملة تعتمد على العمليّات العرفانيّة وجدت لتعمل في ميادين عرفانيّة أخرى بما في ذلك الذّاكرة والخيال والعقل والإدراك.

– اللّغة ليست وحدات، تتكوّن من أنساق فرعيّة مثل النّحو والدّلالة وغيرهما. ولكّن اللّغة نظام من الوحدات التّواضعيّة أو المجموعات الرّمزيّة حيث تحيل الأشكال المعجميّة والنّحوية إلى بنى تصوّريّة مخصوصة، تعود إلى خطاطات صور كامنة في الطّبيعة.

– اللّغة بناء رمزي، فيمكن تصوّر نفس الوضع أو الحدث أو الكيان أو العلاقة بطرق مختلفة، وأشكال لسانيّة بديلة، ويفترض وصف المشهد تصوّرات بديلة.

المنارة للاستشارات

6- تحليل الخطاب النقدي بين تحليل الخطاب سياسيا وتحليل الخطاب السّياسي

من أهم الخطابات التي اهتمّ بها تحليل الخطاب في منابته الفرنسية أو الأنجلوسكسونيّة، الخطاب السّياسيّ، باعتباره الخطاب الأهم الذي يمكن أن يكشف عن علاقة اللّغويّ بالإيديولوجيّ، فتعددت مداخل مقاربة هذا الخطاب، وزوايا النّظر إليه. في بياهما لتاريخ تحليل الخطاب السّياسيّ تحدث كل من بول شيلتون ***(Paul Chilton)*** وكرستينا شافنير ***(Christina Schäffner)*** عن ثلاث مجموعات رئيسيّة قاربت الخطاب السّياسيّ في القرن العشرين: المقاربات الفرنسيّة والألمانيّة والأنقلوفونيّة.

المقاربات الفرنسيّة تطوّرت نتيجة تقارب بين دراسات علماء السّياسة والفلاسفة واللّسانيين، وقد نشأ اتّجاهان أساسيان، أوّلهما يُطلق عليه اسم القياس المعجمي السّياسي ***(political lexicometry)***، وهو توجّه تأسّس سنة **1969** بمدرسة الأساتذة العليا من سان كلود ***(the École Normale Supérieure of Saint-Cloud)***، ويقوم، بمساعدة الحاسوب، بدراسة كميّة للمعجم تمكّن من توفير جملة من البيانات القابلة للتحليل. أمّا ثانيهما فيمثّله تحليل ألتسير ***(Althusser)*** للمجتمع والإيديولوجيا، وهو تحليل ذو توجّه ماركسيّ.

المنارة للاستشارات

أمّا المقاربة الألمانيّة فركّزت أساسا على دراسة الفاشية وسياسة تقسيم ألمانيا إلى دولتين. وهي دراسات كان في البداية محورها الكلمة، والاهتمام بالمنحى التّواصلي، وصولا إلى الدّراسات البراغماتيّة واللّسانيّات الاجتماعيّة واللّسانيات العرفانيّة.

أمّا المقاربات الأنقلوفونيّة وتشمل بريطانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة وحتى هولندا وبلجيكا، وغيرها، فقد تطورت الدّراسات في هذا الميدان بفضل باحثين مثل فاركلوق ***(Fairclough)***، وفاولر ***(Fowler)***، وهودج ***(Hodge)*** وكريس ***(Kress)***، وصولا إلى تشومسكي ***(Chomsky)*** في نقده للسياسة الأمريكيّة، وعلى الرّغم من توظيف اللّسانيات التّطبيقيّة في تحليلهم للخطاب السّياسي إلاّ أنهم ظلّوا يفتقدون إلى البعد الماركسي الذي ميّز نظراءهم في أوروبا.(**59**)

إنّ أهم الإشكاليّات التي يطرحها تحليل الخطاب النّقدي، عند أهم رواده كفاركلوف ***(Fairclough)*** ووداك ***(Wodak)*** وفان دايك ***(Van Dijk)***، التلازم بين اللّغوي والإيديولوجي، علاقة الخطاب بالبنى الاجتماعيّة، كلّ خطاب هو ضرورة انعكاس لموقع اجتماعي، ولموقف سياسي، ولا ينفكّ محلّل الخطاب نفسه من أن يكون رهين هذ التلازم، فهو خاضع لهذه الإكراهات، وتحليله ليس حياديا وإنّما هو منخرط في موقف، ولا يهدف فقط إلى التّحليل والكشف بل أيضا هو ملزم بتغيير العلاقات الاجتماعيّة، وعلاقة الهيمنة والسّلطة داخل المجتمع. وهذا مكمن الانتقاد الذي تعرّض له محلّلو الخطاب، من طرف وجهات نظر أخرى رأت أنّ محلّلي الخطاب يتّخذون موقفا سياسيا واضحا عند

المنارة للاستشارات

تحليلهم للخطابات. وتبعا لذلك فهم يتصرّفون باعتبارهم فاعلين سياسيين لا محلّلي خطاب. وهنا يثار الإشكال في مصطلح تحليل الخطاب السّياسي نفسه *(Political Discourse Analysis)* الذي تحوّل عند البعض إلى تحليل للخطاب سياسيّا، واقترحوا إبدال المصطلح الأنجليزي لتحليل الخطاب السّياسي بـــ *(the analysis of political discourse)* لما أضحى يحمله المصطلح الأوّل من لبس، ففيه نحن لا نتعامل، في نظرهم، مع محلّلين للخطاب السّياسي بل مع سياسيين يحلّلون الخطاب. فما المقصود بالخطاب السّياسي تحديدا هل يّقصد به الخطاب السّياسي في حدّ ذاته، أم أيّ خطاب يقع تحليله تحليلا سياسيا؟

وقد شهد تحليل الخطاب السّياسي تطوّرا كبيرا بعد الحظوة التي وجدها هذا الخطاب عند العرفانيين، وفي نظريّة الاستعارة التّصوّرية خاصّة، بعد أعمال لايكوف محلّلا الخطاب السّياسي الأمريكي في حربي الخليج الأولى والثّانية وفي أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما تلاها من دراسات بحثت بصورة مخصوصة في الاستعارة التّصوّريّة والخطاب السّياسي، لباحثين من شتى أنحاء العالم حلّلنا بعض تصوّراتهم في كتابنا "الاستعارات التّصوّريّة وتحليل الخطاب السّياسي". وما أحدثه تظافر تحليل الخطاب النّقدي ونظريتا الاستعارة العرفانيّة (نظريّة الاستعارة التّصوريّة ونظريّة المزج التّصوري)، من تقدّم أعطى نجاعة نظريّة أكبر لتحليل الخطاب السّياسي. ويمكن أن ننظر في أهم مظاهر هذا التظافر في أعمال جونثان كارترز بلاك *(J.Charteris-Black)*. أو ما وسم عنده بتحليل الاستعارة النّقدي *(Critical Metaphor Analysis)*.

المنارة للاستشارات

تحليل الاستعارة النّقدي هي مقاربة في تحليل الاستعارة نشأت في إطار تحليل الخطاب النقدي مستفيدا من نظريّة الاستعارة التّصوّريّة، وتهدف إلى تحليل وجود الاستعارة في خطاباتنا. ويقوم مبحث تحليل الاستعارة النّقدي على ثلاث مراحل أساسيّة مستفيدا من الوظائف الثلاث الأساسيّة للغة التي تحدث عنها هاليداي في النّحو الوظيفي والتي استفاد منها تحليل الخطاب النّقدي.

المرحلة الأولى توسم بتحديد الاستعارة ***Metaphor identification***، وتتعلّق أساسا بالمعنى الفكريّ ***ideational meaning***، وهي مرحلة التّعرّف الأولى على الاستعارة بتحديد الميدان المصدر والميدان الهدف اللّذان يبنيان الاستعارة في خطاب مّا.(**60**) وتقوم هذه المرحلة على طورين أساسيين، أوّلهما كمّي يتعلّق بحصر الكلمات المفاتيح التي استعملت في النّصّ، وثانيهما كيفيّ يتعلّق بالكشف عن استعمالات هذه الكلمات في سياق النّص كيف استعملت في المستوى الحرفي وفي المستوى الاستعاري. وقد ضرب جونثان كلارك مثلا على ذلك كلمة "الحرب الصّليبيّة" ***crusade*** التي استعملت في الخطابات التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وخاصّة في خطاب جورج بوش الابن الذي تحدّث عن حرب صليبيّة ***'fight a crusade against terror***، متحدّثا عن الحرب ضدّ الإرهاب. فهذه الكلمة لها معنيان، معنى أوّل يتمثّل في الحروب المسيحيّة التي شنّت ضدّ العالم الإسلامي في القرون الوسطى، ومعنى ثان يعتبر توسيعا للمعنى الأوّل وهو معنى استعاري مثلما يعرّفها لونقمان في المعجم العالمي الجديد ***(Longman New Universal Dictionary)***، بـــ"انجاز مشروع إصلاحيّ جديد باندفاع وحماس"

'a reforming enterprise undertaken with zeal and enthusiasm'

المنارة للاستشارات

ولكنّ المصطلح أثار ضجّة كبيرة من طرف المسلمين الذين فهموه بمعناه الأوّل، أي المعنى الحرفي، الذي يحيل إلى حرب دينيّة ضد الإسلام. ولا يخلو رأي جونثان كلارك في هذا التّحليل من تموقع إيديولوجيّ، ولعلّ موقع منتج الاستعارة غير موقع قارئها الثّقافي والاجتماعي والإيديولوجي. ويحلّل كلارك هذه الكلمة في سياقات مختلفة وفي نصوص مختلفة، مبيّنا تحوّل دلالتها من المعنى الدّيني المتعلّق بالمعنى الأوّل إلى معنى اجتماعي، ويمكن للحاسوب أن يساعد على بيان أنّ هذا المعنى الاستعاري أكثر تداولا وانتشار في الاستعمال، وأنّه يمكن من النّاحية الكمية ترجيح استعمال المعنى الاستعاري، وإن كان السّياق هو المحدّد الأهم لهذا الاستعمال. **(61)**

والمرحلة الثّانية وهي مرحلة تأويل الاستعارة ***Metaphor interpretation***، وتتعلّق بالمعنى التّشاركي ***interpersonal meaning***، وتتمثّل في تحديد نوع العلاقات الاجتماعيّة التي بنيت من خلالها الاستعارة. فالتّأويل يقتضي استحضارا لعلاقة الاستعارة بالعوامل البراغماتيّة والعرفانيّة التي تحدّدها. وكيف يمكن لاختيار هذه الاستعارة أن يفعل في بناء تمثّل اجتماعي. مثل كلمة "الحرب الصّليبيّة" التي استعمالها بوش والتي أوّلت على أساس استعارة "السّياسة دين" في التصوّر الإسلامي، والذي مثّلته خاصّة خطابات أسامة بن لادن، واستعمال نفس الكلمة ***crusade*** في ترجمة قناة ***CNN*** ، نقلا عن قناة الجزيرة. والتي استطاعت أن تحقق نجاحا بلاغيا في إرجاع الكلمة إلى معناها الأوّل، تأسيسا على استعارة تصوّريّة "السياسة دين". ويلعب هنا التموقع الإيديولوجي دورا في فهم الكلمة في الخطاب. وهذا شكل من أشكال "الاستعارات التي تقتل".

المنارة للاستشارات

والمرحلة الثّالثة وتتمثّل في تعليل الاستعارة ***Metaphor explanation***، وتتضمّن العوامل الاجتماعيّة الدّاخلة في إنتاج هذه الاستعارة، ودورها الاجتماعيّ في الإقناع. فتحديد الاستعارة واختيارها واستعمالها في سياقات مخصوصة يهدف بدرجة أولى إلى الإقناع. وهذا ما يعطي الاستعارة أسسها البلاغيّة والإيديولوجيّة، فهي تهدف إلى الإقناع، الإقناع بوجهة نظر معيّنة. **(62)**

وقد خصّص **جونثن كارترز بلاك** كتابه **"السّياسيّون والبلاغة، قوّة إقناع الاستعارة" (63)** للاشتغال على خطابات تسعة زعماء سياسيين بيّنوا قدراتهم على توظيف الاستعارة في تحقيق الإقناع والتأثير. هؤلاء الزّعماء هم أربعة بريطانيين، ونستن تشرشل واينوش باول ومارغريت تاتشر وتوني بلير وخمسة أمريكيين هم مارتن لوثر كينغ ورونالد ريغن وبيل كلنتون وجورج بوش وباراك أوباما، وقد خصّص فصلا لكلّ سياسيّ وبحث في أهم الاستعارات المهيمنة على خطابه، هذه الاستعارات التي استطاعت أن تؤثّر في الجماهير وتقنعهم.

والباحث يعي أنّ اللّغة ليست وحدها التي تمارس فعل التّأثير والإقناع، فهناك وسائل أخرى تستعمل لجعل خطاب السّياسي فاعلا وناجحا ومقبولا ومؤثّرا، فالنّظرات والحركات ناجعة في خطاب السّياسي إذا كان مباشرا أمام الجماهير، والصّوت له تأثيره في الرّاديو، وحركات العين مهمّة في المشهد التّلفزيّ، وللوسائط الإعلاميّة دور هام، يجب على السّياسي أن يدرك كيفيّة التّعامل معها (بدأ الاهتمام بالوسائط الإعلاميّة في الحملات الانتخابيّة منذ حملة جون كنيدي سنة **1960**).

المنارة للاستشارات

خاتمة

حافظ تحليل الخطاب منذ أصوله الأولى مع ألتوسير وفوكو، مرورا بأعلامه في المدرسة الفرنسيّة (مانقينو وشاردو...)، وتحليل الخطاب النّقدي (فان ديك، ووداك، وفاركلوف...)، وصولا إلى استفادته من اللّسانيات العرفانيّة، وما نتج عنه خاصّة من تطوير تحليل الاستعارة النّقدي (جانثان كارترز بلاك...)، على التّلازم بين المعرفيّ والإيديولوجيّ. فكلّ إنتاج معرفيّ هو ضرورة وجهة نظر، ورؤية مّا للعالم، بما أنّنا ذوات جسديّة أوّلا، وذوات ثقافيّة ثانيا، وذوات اجتماعيا ثالثا، فنحن نتمثّل الوجود من خلال إمكانياتنا الجسديّة، فهيئة أجسادنا، ومظاهر الضّعف فيها، الطّبيعيّة والطّارئة، وأثر العالم الخارجي على أجسادنا وعلى الأشياء من حولنا تؤثّر في إدراكنا للأشياء من حولنا، ومن خلال ثقافتنا وما رسّخته فينا من تصوّرات ومعتقدات تحدّد الخلفيّة التي نتمثّل من خلالها العالم من حولنا، ومن خلال مواقعنا الاجتماعيّة التي تحّدد علاقتنا بالأطراف الاجتماعيّة الأخرى، وعلاقة الهيمنة والسّيطرة بينها. فنحن نفكّر من خلال هذه الإكراهات، فلا وجود لفكر متعال بمعزل عن الجسد وحدوده، والثّقافة وإكراهاتها، والمجتمع وصراع فئاته، لكلّ هذه الاعتبارات لا يمكن أن نفكّر إلاّ إيديولوجيا في هذا العالم، بعيدا المفهوم المهجّن للإيديولوجيا. ولا يمكن أن نحلّل الخطاب إلاّ من خلال رؤية مخصوصة، وزاوية نظر معيّنة. لذلك ظلّ التلازم قائما في نظريات تحليل الخطاب بين المعرفي والإيديولوجي، وبين اللّغويّ والاجتماعيّ، وبين الخطاب والفاعلين الاجتماعيين.

المنارة للاستشارات

الهوامش :

1- *Georges-Elia Sarfati, éléments d'analyse du discours, NATHAN Université, 2001, p6.*
2 - *Ibid, pp 88-89.*
3- *Ibid, p 89.*
4- *Ibid, p 97.*
5- *Ibid, p 97.*
6- *Ibid, p 97.*

7- حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، التّسفير الفني صفاقس، الطبعة الأولى **2005**، ص**9**.

8- باتريك شارودو ودومنيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادرالمهيري وحمّادي صمّود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس **2008**، ص**262**.

9- Georges-Elia Sarfati, éléments d'analyse du discours, op.cit, p 91.
10- Christopher Hart, Discourse, Grammar and Ideology Functional and Cognitive Perspectives, Bloomsbury and the Diana logo are registered trademarks of Bloomsbury Publishing Plc, First published 2014, P 2.
11- Ibid, p2.
12 - Teun A. van Dijk, , Critical Discourse Analysis, Second draft, January 1998, p 1, http://www.hum.uva.nl/~teun/cda.htm
13- Ibid, p3.

14- نورمان فاركلوف، مرجع مذكور، ص**20**.

15- نورمان فاركلوف، مرجع مذكور، ص**20**.

16- نورمان فاركلوف، مرجع مذكور، ص **28**.

17- Ibid, p 2.

18- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب التّحليل النّصّي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطّبعة الأولى **2009**، ص **19**.

المنارة للاستشارات

[19]- Christopher Hart, Discourse, Grammar and Ideology Functional and Cognitive Perspectives, op. cit, p2.
20- Ibid, p3.
21- Ibid, p3.
22- نورمان فاركلوف، مرجع مذكور، ص **62**.
23- المرجع نفسه، ص ص **61**، **62**.
24- Christopher Hart, Discourse, Grammar and Ideology Functional and Cognitive Perspectives, op. cit p3.
25- Ibid, p4.
26- Ibid, pp 4, 5.
27- Ibid, p5.
28- Teun A. van Dijk, Critical Discourse Analysis, op.cit, p4.
29- Ibid, p 4.
30- Christopher Hart, Discourse, Grammar and Ideology Functional and Cognitive Perspectives, op.cit, p5.
31- Teun A. van Dijk, Critical Discourse Analysis, op. cit, p5.
31- Ibid, p6.
33- Ibid, p6
34- Ibid, p2.
35- Christopher Hart, Discourse, Grammar and Ideology Functional and Cognitive Perspectives, op. cit, p5.
36- Etienne Stéphane Karabétan, Langue française n° 121 février 1999 (présentation du numéro p.4)
37- *Lundquist Lita,* **«Le Factum textus: fait de grammaire ،fait de linguistique ،fait de cognition?»** *Langue française n° 121 février 1999, p 56.*
38- Ibid, p 60.
39 –Brigite Nerliche et David .D.Clarke,
«Champ.schéma. sujet : les contributions de Buhler ،

المنارة للاستشارات

Bartlett et Benveniste à une liguistique du texte» *in langue française, février 1999 p 45.*

40 –Etienne Stéphane karabetian, (présentation du numéro), op. cit , p5.

41 –Anne Reboul et Jacques Moeshler, pragmatique du discours, Armand Colin, Paris 1998, pp 13.14.

42 – محمد الخطابي، لسانيات النّصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، طبعة أولى **1994**، ص **5**.

43– Halliday.M.A.K.and R.Hasan – cité par John Lyons,Sémantique Linguistique, Traduction de J. Durand et D,Boulonnais, Larousse Universite, 1980, p 247.

44- Lundquist Lita, **«Le Factum textus : fait de grammaire, Fait de linguistique ou fait de cognition»**, *op. cit.*

45- A.Reboul et J. Moeshler, pragmatique du discours, op. cit, p 58.

46- Ibid, pp 58،59.

47- Ibid, p 66.

48– يحدد شارول قواعد الانسجام في المبادئ الأربعة التالية:

1- *Méta- règle de répétition 2– Méta -règle de progression 3– Méta- règle de non-contradiction 4 Méta- règle de relation*

49- ibid.

50- ibid.

51– نورمان فاركلوف، مرجع مذكور، ص **27**.

52- Christopher Hart, Discourse, Grammar and Ideology Functional and Cognitive Perspectives, op. cit, p 7.

53- Ibid, p8.

المنارة للاستشارات

54- Ibid, p9.
55- Ibid, p12.
56- Ibid, p108.
57- Ibid, p108.
58- Ibid, p109.
59- Marco Aponte Moreno, Metaphor in Hugo Chavez's Political Discourse: Conceptualizing Nation, Revolution, And Opposition, A dissertation submitted to the Graduate Faculty in Hispanic and Luso-Brazilian Literatures and Languages in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, The City University of New York 2008, pp 36-37.
60 - J. Charteris-Black, Corpus Approaches to Critical Metaphor Analysis, PALGRAVE MACMILLAN, 2004, pp 34-35.
61- Ibid, p36.
62-Ibid, p39.
63- Johnathan Charteris-Black, Politicians and Rhetoric: The Persuasive Power of Metaphor, PLAGRAVE MACMILLAN, 2011.

المنارة للاستشارات

المصادر والمراجع:

- الخطّابي (محمد)، لسانيات النّصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، طبعة أولى **1994**.

- شارودو (باتريك) و منغنو (دومنيك)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس **2008**.

- عبيد (حاتم)، في تحليل الخطاب، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، التّسفير الفني صفاقس، الطبعة الأولى **2005**.

- فاركلوف (نورمان)، تحليل الخطاب التّحليل النّصّي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطّبعة الأولى **2009**.

- Charteris-Black (Johnathan), Corpus Approaches to Critical Metaphor Analysis, PALGRAVE MACMILLAN, 2004.

- Charteris-Black (Johnathan), Politicians and Rhetoric: The Persuasive Power of Metaphor, PLAGRAVE MACMILLAN, 2011.

- Hart (Christopher), Discourse, Grammar and Ideology Functional and Cognitive Perspectives, Bloomsbury and the Diana logo are registered trademarks of Bloomsbury Publishing Plc, First published 2014.

- Karabétan (Etienne Stéphane), Langue française n° 121 février 1999 (présentation du numéro p.4).

المنارة للاستشارات

- *Lyons (John), Sémantique Linguistique, Traduction de J. Durand et D,Boulonnais, Larousse Universite, 1980.*

- *Lundquist Lita, «Le Factum textus: fait de grammaire ،fait de linguistique, fait de cognition?» Langue française n° 121 février 1999*

- *Nerliche (Brigite) et D.Clarke (David), «Champ.schéma. sujet : les contributions de Buhler ، Bartlett et Benveniste à une liguistique du texte» in langue française, février 1999.*

- *Moreno (Marco Aponte), Metaphor in Hugo Chavez's Political Discourse: Conceptualizing Nation, Revolution, And Opposition, A dissertation submitted to the Graduate Faculty in Hispanic and Luso-Brazilian Literatures and Languages in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, The City University of New York 2008.*

- *Reboul (Anne) et (Moeshler) Jacques, pragmatique du discours, Armand Colin, Paris 1998*

- *Sarfati (Georges-Elia), éléments d'analyse du discours, NATHAN Université, 2001.*

- *van Dijk (Teun A), Critical Discourse Analysis, Second draft, January 1998, http://www.hum.uva.nl/~teun/cda.htm*

المنارة للاستشارات